ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

أفول المملكة الوهابية

مصطفى السعيد

لأول مرة تواجه المملكة السعودية الوهابية خطرا جديا على وجودها، فدور المملكة في نشر الإرهاب لم يعد بالإمكان القبول به، حتى لو استخدمته الولايات المتحدة ووظفته لتحقيق مصالحها، فأمريكا مثل أنثى العنكبوت «الأرملة السوداء»، التي تقتل الذكر وتأكله بعد أن يؤدي دوره في تلقيحها، والوهابية انتهى دورها الوظيفي، وأصبحت عبئا حتى على العائلة الحاكمة في السعودية.

لكن العلاقة بين آل سعود والوهابية مثل التوائم السيامية (الملتصقة)، والتي يصعب فصلها، وأي تحجيم للمؤسسة الوهابية في السعودية سوف يلحق ضررا كبيرا بالأسرة الحاكمة، وستواجه غضبا وتمردا من مؤسسة متغلغلة في المملكة، لها نفوذها وتأثيرها، لكن الوهابية عصية على التجديد أو الاستمرار بحكم طبيعتها الجامدة والرجعية، وفتاواها وسلوكها وأفكارها لم تعد قابلة للبقاء، فهي معادية للعلم والحياة العصرية، بل معادية للإنسانية، ولأنها الأم الشرعية لمعظم التنظيمات الإرهابية، التي نشرت الرعب والموت وأسالت أنهارا من الدماء في كل أنحاء العالم فإن القضاء عليها أصبح مطلبا عالميا، حتى أن حلفاء آل سعود لم يعد بمقدورهم الدفاع عن المملكة التي قدمت لهم خدمات جليلة، منها الحرب على الإتحاد السوفييتي وحروب أسعار النفط وحتى استيلاد داعش وأخواتها، والمشاركة في التآمر على أي دولة تعادي إسرائيل، حتى لو كانت في أمريكا اللاتينية.

إن مبادرة التحديث المنسوبة لمحمد بن سلمان، ابن الملك، وولي ولي العهد، ووزير الدفاع لا يمكن اعتبارها خطوة جدية، لأنها مجرد ورقة هدفها امتصاص غضب أوروبا الناجم عن تحميل الوهابية وزر العمليات الإرهابية على أراضيها.

وفي المقابل فإن الطبقة الوسطى وخريجي الجامعات الأجنبية لم يعد بإمكانهم العيش تحت نير الحكم الوهابي، وغياب القانون والدستور والأحزاب والانتخابات والمجالس التشريعية، وغيرها من مؤسسات الدولة الحديثة، وهذه الطبقة المثقفة يزداد ثقلها الاقتصادي والفكري داخل المملكة، وهي تحمل كل عوامل التمرد.

أما معتنقو المذهب الشيعي فهم يلقون معاملة فظة، لا تكتفي بتهميشهم، ومنعهم من الكثير من الوظائف والخدمات، بل يجري تكفيرهم علنا، وبفتاوى من كبار رجال الدين في المملكة، ويتعرضون للملاحقة من أجهزة الأمن وتفجيرات وهجمات الجماعات التكفيرية، وبلغ غضبهم حد كسر حاجز الخوف والخروج في مظاهرات، لم تشهد لها المملكة مثيلا.

هذا جانب من التحديات الخارجية التي تواجهها المملكة الوهابية، والتي زاد من خطورتها سياسة المملكة في إغراق الأسواق بالنفط لخفض سعره، للإضرار بخصومها من الدول المنتجة مثل روسيا وإيران والعراق وفنزويلا، لكنها تدفع الثمن الأكبر لخفض الأسعار، وباتت تعاني أزمات اقتصادية دفعتها إلى رفع أسعار الكثير من الخدمات.

لكن أخطر ما تواجهه المملكة هو طوق الكراهية الذي يحيط بها من كل جانب، حتى أن دولة الإمارات بدأت تنأى بنفسها عنها، خاصة مع تزايد خسائرها في اليمن، واستعانة المملكة بمنتمين إلى جماعة الإخوان، التي

تثير مخاوف دول الخليج (الفارسي) من انتشار أفكارها ومنتسبيها، كما اعتمدت قطر سياستها الخاصة، وتثير معها المشاكل في غير مكان، وآخرها اتصال أمير قطر بإيران، والسعي لتطبيع العلاقات معها، أما الكويت فتبتعد أكثر فأكثر عن سفينة المملكة المترنحة وسط أمواج العنف والحروب، وتخشى أن تصاب بشظايا سياسة التفجير وإشعال النيران التي تنتهجها المملكة.

سلطنة عمان ابتعدت كثيرا عن المملكة، وتحرص على اتباع سياسة متوازنة، وترتبط مع إيران بعلاقات وثيقة، ولا يبقى للمملكة من صديق حميم سوى ملك البحرين، بحكم اعتماده على المملكة في تأمين حكمه، في مواجهة شعبه الذي يطالب بعدد من الإصلاحات، بوسائل سلمية، لكنه يواجه كل أشكال القمع والتنكيل. ووجود قوات درع الجزيرة.

المصدر الأكبر لنيران الكراهية يأتي من اليمن، التي يتعرض شعبها للقصف بكل أنواع الأسلحة كل يوم، وتتدفق منها أنهار الدماء، فلم تترك المملكة مكانًا لم تقصفه، بما فيها المدارس والمستشفيات والأسواق والطرق والمساكن وحتى دور حضانة الأطفال.

كان محمد بن سلمان يعتقد أن الحرب مع اليمن مجرد نزهة، لأن الجيش اليمني ضعيف التسليح، بينما المملكة احتلت المركز الأول عالميا في استيراد السلاح، لكنها فوجئت بإرادة الشعب اليمني، وصلابة المقاتل اليمني ومهاراته، ولم تنجح المملكة رغم استئجار الجيوش والمرتزقة من كل قارات العالم في دخول الهضبة اليمنية، وتتعرض قواتها لخسائر جسيمة كل يوم، خاصة مع انتقال المعارك إلى داخل أراضيها.

أما العراق فهو المرشح للصدام مع المملكة، التي لم تكتف بدعم الإرهابيين الدواعش الذين اجتاحوا أراضيه، ودمروا وذبحوا وفجروا وأحرقوا، وارتكبوا أشد الفظائع في التاريخ المعاصر بحق سكانه، وإنما تتدخل في شؤونه، وتحاول إشعال الفتن المذهبية، ما تسبب في أزمات دبلوماسية، مرشحة للتفاقم، فالعراقيون يحملون المملكة وزر جرائم «داعش»، والمملكة تريد عراقا ضعيفا وتابعا ومفككا، والصدام بين البلدين يكاد يكون حتميا في ظل تمادي السعودية في جرائمها ضد العراق.

الأردن لم يعد متحمسا للسير في ركاب المملكة، فهو يستشعر الخطر من المغامرات التي سيدفع جزءا من ثمنها، وقد تكلفه غاليا، سواء مع تنامي الجماعات الإرهابية داخله، أو تورطه في الحرب على سوريا والعراق، والتي لا تسير وفقا للأهواء السعودية.

أما المشاكل مع مصر فقد بدأت تطفو على السطح، رغم محاولة النظام المصري استرضاء السعودية لضمان استمرار المساعدات الإقتصادية، لكن يبدو أن المطالب السعودية من مصر تفوق قدرتها، وتلحق الضرر بأمنها القومي، ولا تريد أن تتورط في الأوحال التي تخوض فيها المملكة، خصوصا في الحرب على سوريا، التي تتعارض مع مصالح وأمن مصر، ولهذا طرح الرئيس السيسي ورقة لحل الأزمة السورية تكاد تتطابق مع رؤية كل من روسيا وإيران، وتقوم على عدم المساس بوحدة سوريا ومؤسساتها، ومحاربة الإرهاب، واللجوء إلى الحوار بين السوريين، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد للغضب السعودي، فقد كان لشيخ الأزهر الدور الأبرز في مؤتمر غروزني، الذي استبعد الوهابية من المذاهب الفقهية السنية، وهو ما أثار موجة غضب وتهديدات تجاوزت مؤسسة وشيخ الأزهر.

أما إيران فتأتي في مقدمة الدول المستهدفة بالنيران السعودية، وهو ما عبّر عنه صراحة الامير تركي الفيصل رئيس المخابرات السعودية السابق، والذي دعا إلى إسقاط النظام الإيراني خلال رعايته مؤتمرا لجماعة «خلق» الإرهابية المعارضة للنظام الإيراني، وتكفير مفتي السعودية للإيرانيين كافة، والذين وصفهم بـ«المجوس»، ويمتد هذا العداء بالطبع إلى سوريا التي دفعت مئات آلاف الضحايا للإرهاب الذي تدعمه السعودية، ودمر الكثر من مدنها وبنيتها التحتية، وكلف اقتصادها خسائر يصعب حصرها، وكذلك تضع المملكة حزب اللّه في صدارة أعدائها، وتدفع الكثير لكل من يمكنه النيل من الحزب وأعضائه وحلفائه، وضغطت على أعضاء جامعة الدول العربية لوضعه على قوائم التنظيمات الإرهابية.

هكذا اتسع طوق الكراهية حول المملكة الوهابية، والقابل للإنفجار أو على الأقل سيغذي أجواء التربص والإيذاء التي تعيشها مملكة الرعب، والمرشحة لتكون ساحة لصراعات مركبة وعنيفة، ناتجة عن استعمال أموالها في التدمير والتخريب وإثارة الفتن.

طوق الكراهية الذي يحيط بالمملكة قابل للإشتعال في أية لحظة، وينتظر أي احتكاك أو أزمة حادة ليحول المملكة إلى كتلة من النيران.

حالة من الذعر تنتاب حكام المملكة من صدور قرار لمجلس النواب الأمريكي الأسبوع الماضي، يعزز قرارًا سابقًا صدر بالإجماع من مجلس الشيوخ بمنح ضحايا العمليات الإرهابية في ١١ ايلول/سبتمبر حق مقاضاة الدول والشخصيات المرتبطة بالحادث، ومعظم المهاجمين من السعودية، وتم الإفراج مؤخرا عن الجزء المخفي من التقرير حول العمليات، والتي كشفت تورط شخصيات سعودية مع مرتكبي العملية الإرهابية، ولهذا تحشد المملكة كل الدول التابعة أو الصديقة للتنديد بالقرار الأمريكي، الذي لم يخفف من وطأته وعد الرئيس الأمريكي أوباما باستخدام «الفيتو» ضده، لأن «الفيتو» لا يمنع صدوره، وانما يعيد عرضه على الكونغرس للتصويت، والمرجح أنه سيلقى تأييدا كبيرا، بما يجعل أمريكا تضع يدها على الأموال السعودية في أمريكا، منها ٧٥٠ مليار دولار أذون خزانة، ولن تكفي التعويض عن عدد الضحايا الهائل، منهم ٣ آلاف قتيل، وأضعافهم من الجرحى والمضارين اقتصاديا ونفسيا.

توقيت القرار الأمريكي يثير الرعب لدى الأسرة الحاكمة، فلماذا بعد كل هذه السنوات يخرج ملف ١١ ايلول/سبتمبر إلى العلن، ويعقبه صدور مثل هذا القانون، والذي جاء في إطار حملة دولية واسعة تدين المملكة وتتهمها بأنها وراء التفجيرات والحروب التي أشعلها التكفيريون.. هل يعني ذلك أن نهاية المملكة أصبحت وشيكة، وأن أمريكا وحلفاءها يتربصون لنيل الميراث الهائل، واستعدت أمريكا للاستحواذ على النصيب الأكبر من كنوز آل سعود؟.

رصاصة بوجه الملك.. تركوك وحيدا في صحراء التكفيريين

خليل حرب

كانوا يقصفون بلغراد، وكنت هنا زميلاً الى جانبنا في «السفير» في العام ١٩٩٩. قلةٌ تعرفُ ذلك عنك. وكنت تتململ حنقاً كيف تُستباح عاصمةٌ وتقسّم يوغوسلافيا أمام تواطؤ العالم... وأنظارنا.

وقتها قتلوك يا ناهض. يوم انهمرت الصواريخ الأميركية على التلفزيون الصربي لإسكات الصوت المعادي للامبريالية كما تحب ان تسميها، وأنت تنفث دخان سيجارتك بشراهة وغضب.

مات الصحافيون تحت أنقاض المبنى، ولم يندد أحد بذلك. وكانت ربما سابقة أن تباد قناة تلفزيونية لأنها «معادية». ولم يندد أحد. ثم عاودوا الكرّة. وكلما ذهبوا الى عاصمة استباحوها. قصفوا التلفزيون العراقي، ثم قناة «المنار»، وأغلقت قنوات وإذاعات في فلسطين واليمن والعراق ... لا لشيء سوى لأنها متهمة بمعاندة الامبراطورية وعملائها في العالم.

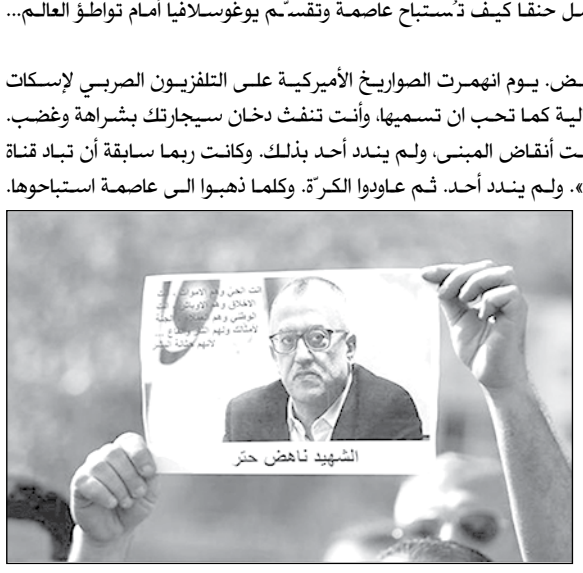

وهكذا، كنت أنت في بيروت آتياً من عمان حيث جربوا قتلك مرة، وآلموك. دار الزمن دورته، وغادرتنا، فإذا بك أمام مئة بلغراد اخرى، وعواصم اخرى تنتهك وبلاد شرّعوا أبوابها أمام الفتنة والانقسام وشيوخ الضلال والدم. دمشق الشقيقة، والقاهرة الحبيبة، وصنعاء الجريحة، وبغداد الحزينة..

لكنك كنت ايضاً تخشى على عمّان. وكان كثيرون يعتقدون أنك تبالغ. يظنها القصر - والملك - بعلاقاته وتحالفاته، محصنة، وتراها أنت في خطر. وها أنت مرمي أمام «قصر عدله» مضرجاً بدمائك.

القاتل خادم للامبراطورية ذاتها ولعهرها العالمي. أما الرصاص فهو ليس في وجوهنا كلنا، هو في وجه الملك نفسه، ذلك أن ظنَّه بإمكانية اللعب مع العقارب، وإيوائها، واحتضانها المنظم، خدمة لمصالح استقرار داخلي واهٍ، أو مخططات تطال الجوار السوري والعراقي، يمكن أن يرتد على حياة الأردنيين وأمنهم. «هجوم الركبان» الحدودي لم يكن المؤشر الأول ولا الأخير على الخطر الداهم الذي يجازف الملك بالتذاكي على تناقضاته.

وقتها قتلوك يا ناهض. لما سجنوك أول مرة وبعدها مرات، ولما منعوك من الكتابة، ولما سمح الملك هذه المرة باستدعائك بسبب رسم كاريكاتيري لم ترسمه أنت، واتهامك بتهديد أمن المملكة! فيما كبار شيوخ «جهاد النكاح والذبح» يعربدون في طول بلادك وعرضها، وقد أفتوا بجواز قتلك.

دمك، على وجه هذه السلطة التي آوت القاتل. لم تفرز شرطيا واحدا لحمايتك وتركتك وحيدا في صحراء التكفيريين، وها هي جثتك ملقاة على أرض انحطاطنا.

يا لحظّك يا ناهض، فالملك الى باريس يذهب تضامناً مع «شارلي إيبدو»، و«جلالة عرشه» لا تحتمل «إعادة نشر بوست» على صفحتك! تُرى، هل يسير خلف جنازتك غداً؟.

الخطوط الحمر الروسية

حميدي العبدالله

بات واضحاً أنّ ثمة خطوطاً حمراً روسية لا يمكن تجاوزها في الأزمة القائمة في سورية، وأيّ محاولة للالتفاف عليها لا تفيد، كما أنّ روسيا مستعدة للذهاب إلى أبعد الحدود إذا جرى تحدّيها وتجاهل خطوطها الحمر في سورية.

الخط الأحمر الأول، أنّ حلّ وضع مدينة حلب له مساران لا ثالث لهما، المسار الأول، كما أسمته موسكو مسار الحلّ الإنساني، ويقضي هذا الحلّ بإرسال قوافل إنسانية إلى الأحياء الشرقية وتسهيل خروج من يرغب من المسلحين وتسوية

أوضاع الذين يرغبون بإلقاء السلاح والدخول في خيار المصالحة الوطنية. هذا ما أكدته روسيا عند تحرير طريق الكاستيلو والليرمون وحي بني زيد، وهذا ما تضمّنته التسوية التي تمّ التوصل إليها عشية عيد الأضحى بين الولايات المتحدة وروسيا والتي عرفت بتسوية هدنة العيد.

الخط الأحمر الثاني، فصل «جبهة النصرة» عن بقية التنظيمات المسلحة الأخرى، والإصرار على عدم استمرار المماطلة من قبل الولايات المتحدة وحلفائها لتمييع هذه القضية وتوفير الحماية للنصرة والتنظيمات الأخرى المصنفة تنظيمات إرهابية.

أيّ اتفاق جديد بين موسكو وواشنطن لتجديد العمل بالهدنة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الخطوط الحمر، وأيّ رغبة أو سعي من قبل واشنطن للالتفاف على ذلك سيكون مصيره الفشل.

أكد وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف هذه الثوابت في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأعاد التأكيد عليها أكثر من مسؤول روسي رفيع بعد وقبل كلمة لافروف أمام الجمعية العامة للأمام المتحدة.

ويمكن الاستنتاج أنّ أيّ بحث لأوضاع حلب في المحافل الدولية، ولا سيما في مجلس الأمن لا يأخذ بعين الاعتبار الخطوط الحمر الروسية سيصطدم بالفيتو الروسي – الصيني.

الكرة الآن في مرمى الولايات المتحدة وحلفائها، وليس لديهم الكثير من الخيارات طالما أنّ خيار المواجهة المباشرة مستبعد مع روسيا كما أوضح رئيس الأركان الأميركي في جلسة الاستماع أمام الكونغرس. فإما أن تقبل بما تسمّيه روسيا الحلّ الإنساني لأحياء حلب الشرقية، وإما أن يكون الحسم العسكري هو الخيار بعد رفض خيار الحلّ الإنساني. فهل ترضخ واشنطن وتسلّم بالأمر الواقع، وبالتالي يبصر الحلّ الإنساني النور، ويجري توفير هدر المزيد من الدماء في حلب، أم أنها تجعل خيار الحسم هو الخيار الوحيد المتاح؟ سؤال تصعب الإجابة عليه.

مغامرة الشارع أمام تحدي «الخروج الآمن»

عماد مرمل

لعل الصمت الاختياري للعماد ميشال عون هو أحد أهم أسلحته المستحدثة في معركته الرئاسية. صمت يسمح له بتخفيض نسبة الأخطاء في منطقة الجزاء السياسية، والاحتفاظ بزمام المبادرة، سواء في السياسة أو في الشارع.

لا يعني ذلك أن «الجنرال» يكتفي بالانتظار والمراقبة بالمناظير، بل هو يحضّر - بهدوء ما قبل العاصفة - لواحد من أهم التحركات الشعبية في تاريخ «التيار الوطني الحر»، إذا لم تحصل الانعطافة الحريرية نحوه في ربع الساعة الأخير.

يتحرك «الجنرال» على خطين، وفق سرعة واحدة تقريبا: سياسيا، يحرص على إعطاء فرصة التفاهم مع الرئيس سعد الحريري كل الحظوظ الممكنة، محاولا أن ينسج من خيوط الأمل الضئيل «مستقبلا» سياسيا جديدا، يمتزج فيه اللونان البرتقالي والأزرق.

شعبيا، يشرف عون في الوقت ذاته على كل التحضيرات للانتفاضة البرتقالية المرتقبة التي ستنقل المواجهة الداخلية من طور الى آخر، ما لم تتم الاستجابة لمطالب «التيار» بالحسنى. وهنا، يطيب للمتحمسين من أنصار «الجنرال» الكلام حول تغيير جذري سيحصل في قواعد اللعبة، سلوكا وخطابا، مع النزول الى الشارع، ملمحين الى أن وجهاً آخر للتيار سيظهر وسيفاجئ الكثيرين ممن اعتادوا على نمط معين في ردود فعله.

لا يعني ذلك بالضرورة أن عون سيكشف كل أوراقه أو معظمها بعد ٢٨ أيلول مباشرة، بل هو قد يكتفي في البداية بجرعات مدروسة أو بأشكال رمزية من الاعتراض الميداني لتأكيد جدية الإنذار الذي وجهه ولاختبار نيات خصومه، مع إبقاء حيز للتفاوض السياسي. أما الانتقال الى المرحلة الثانية والمفصلية من المواجهة فسيتم في ١٣ تشرين الاول المقبل الذي سيشكل نقطة التحول الاستراتيجية، لناحية القطيعة مع ما قبله والتأسيس لما بعده.

هذه المرة، توحي الرابية بأنها هي التي تتعرض الى «حرب إلغاء»، ما يمنحها وفق تقديرها لطبيعة الخطر المحدق حق الدفاع عن الوجود بكل الوسائل المشروعة، بمعزل عن موازين القوى، وهي التي تعتبر أنه عندما يتعلق الأمر بـ «البقاء الميثاقي»، تتهاوى الحسابات التقليدية، لا سيما أن «الجنرال» معروف بحماسته للخيارات على حساب الرهانات.

لكن، يبقى خيار الشارع - إن اضطر عون الى اعتماده - محفوفا بتحديات عدة، من بينها:

- في مواجهة من بالضبط سيُخاض التحرك الاحتجاجي، وسط غياب رئيس الجمهورية وشلل مجلس النواب وتعثر الحكومة وتعليق طاولة الحوار، أي انه لا «سلطة» ما يمكن التصويب عليها، حتى يتم الدفع في اتجاه إسقاطها أو محاسبتها أو الضغط عليها أو محاورتها، وبالتالي فإن صرخة التيار على الأرجح ستكون في البرية الواسعة، بحيث إنها ستبدو موجهة ضد الجميع، وضد لا أحد، في الوقت ذاته.

- ان النزول الى الشارع هو الجزء الأسهل من المغامرة البرتقالية، التي سينتظرها على الطريق اختباران صعبان، الأول، يتمثل في مدى القدرة على الاستمرار طويلا في التحرك، لا سيما إذا تجاهله الآخرون وقرروا أن يديروا الظهر له، الأمر الذي سيضع التيار في خضم معركة عض أصابع موجعة. أما الاختبار الثاني، فيكمن في وضع «استراتيجية خروج» الى جانب «استراتيجية النزول»، لأنه من المهم أن يعرف التيار مسبقا متى وكيف سيخرج من الشارع، لئلا يتحول البقاء غير المقنن فيه الى استنزاف له على المديين المتوسط والطويل.

- ان الشعارات التي ستُستخدم في الاستقطاب يجب أن تكون مدروسة جيدا، حتى يتمكن التحرك المفترض من إيجاد أوسع تعاطف معه، من كل الطوائف والمذاهب، لان التركيز حصرا على مطالب أو طروحات «مسيحية المنشأ» سيسهل عزل الانتفاضة البرتقالية واستهلاك طاقتها سريعا. وعليه، فإن هناك في التيار من يعتبر أن المطلوب عدم الاكتفاء بخوض المعركة على قاعدة أولوية انتخاب عون رئيسا فقط، وإنما يجب طرح برنامج وطني يتضمن الى جانب الرئاسة قانون الانتخاب والإصلاح ومكافحة الفساد وغيرها من القضايا الجاذبة والمشتركة التي من شأنها استمالة أوسع شرائح ممكنة، الى جانب الحركة الاعتراضية، وإن لم تشارك مباشرة في مجرياتها على الأرض.